واحدة من الصّفات الرذيلة التي لطالما أكّدت الآيات والروايات على مقتها وضرورة إقامة الحدّ عليها هي السرقة، و التي تعمل على كبكبة الأوضاع وضياع المستحقَّات وشياع الفساد بين العباد بطريقة ممنهجة وفنية؛ لذلك حارب الإسلام بكل ما أوتي من الحول والقوة مبدأ السرقة في عموم مفاصلها ومختلف هيئاتها ومجالاتها، وشرَّع بذلك القوانين والآداب التي من شأنها أن تحافظ على كيان الأمة من السرَّاق فأوجب قطع أيديهم؛ ليرتدعوا ويكفّوا عن فعلهم الدنيء، الذي يتسبّب بضياع العباد والبلاد.

ومما تجدر الإشارة إليه في القصص الغابرة وحكايات جدي أن السرّاق كانوا يركبون الليل للبحث عن الستر والغطاء في الوصول إلى مآربهم وغاياتهم الخسيسة؛ لذلك كان السارق محكومًا عليه بالجبن والخبث أيضًا. ولم يتشرّف شريف بالانتساب إلى هذه المجموعات الليليّة الوقحة؛ بل حتى أنّ الناس الذين يبحثون عن الاعتبارات الدينيّة والاجتماعيّة والقيميّة صاروا يحابون فساد السرّاق؛ ليحافظوا على التوازنات الاجتماعية والحياة الكريمة البعيدة عن الكدرات، وكانت الحكومات هي الأخرى تعمل من أجل محاربة الفساد لا سيما فيما يتعلق بملف السرّاق؛ لذلك كان السارق يشعر بأنّ الجميع يلاحقه فيبتعد عن الرذيلة إلّا إذا اضطر لذلك.

أما اليوم فالأوضاع مختلفة؛ لأنّ السرّاق تركوا ظلمة الليل وتحوّلوا إلى عنوانات كبيرة كالمؤسّسات المختلفة والوزارات المعتبرة؛ بل ورئاسة الحكومة بمسمياتها الكبيرة والحاكمة. فأصبح الفاسد محترمًا والفساد مهنة يتداولها الحكّام والمتسلّطون على رقاب الفقراء والمستضعفين .

وأخذوا يشرعون القوانين تلو القوانين؛ ليجعلوا البلاد وثرواتها أسيرة رغباتهم التي اتَّفقوا على تضمينها في الموازنات والمصروفات والمكافآت التي ما أنزل الله بها من سلطان؛ بل زادتهم حُجبًا بينهم وبين الحقيقة التي لا يمكنهم رؤيتها. فأخذوا يساومونا على لقمة العيش، وقطرات العلاج، مما يضطر بذلك المواطن إلى الانزلاق نحو مستنقعهم الهاوي والمتهالك.

إنَّ من المناسب أن ندرك جميعًا بأن الحقوق لا تعطى؛ بل تؤخذ، وأن السرّاق كما كانوا في الماضي يدخلون إلى البيوت ولا يخافون العجائز والنساء والشيوخ وإن علموا بدخولهم إلى البيت وسمعوا وقع أقدامهم على السطوح والجدران، كذلك اليوم فالسرّاق الذين عمدوا إلى سرقة الوطن والثروات جهارًا نهارًا لا يخشون الأحزاب التي تشاركهم ولا الشيوخ والعجائز؛ بل يخشون قوة الشباب وصيحة الأقلام المدوية التي يمكنها أن تسلّط الإعلام وتسخّر الإمكانيات والقدرات الوطنية الشريفة للحدّ من هذا الإسراف والاستخفاف بالحقوق العامة لهذا الشعب الجريح. فعلى الجميع أن لا يستخفّ بقدرته وصوته وقلمه من أجل هذا الوطن وشعبه الذي بات فريسة بين الوحوش المتكالبة عليه من الداخل والخارج ويسرقونه في وضح النهار؛ ليعلنوا أنّ مرحلة السرقات تحت جنح الظلام ولّت. فالسرّاق اليوم يقودون ويسرقون في النهار جهارًا وإعلانًا.